بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

تؤكد كثير من الدراسات التربوية والاقتصادية على ظاهرة التخلف التى يعانى منها عالمنا العربى والإسلامى فى ميدان الإعداد والتدريب الحرفى والمهنى والتكنولوجى . ويكفى أن نشير هنا إلى بعض الحقائق ذات الدلالة العالية فى هذا الصدد منها : أن أكثر من نصف الأراضى العربية القابلة للزراعة غير مستثمرة ، وأن استيراد الغذاء من الخارج ما زال يمثل قسطا كبيراً فى الموازين التجارية للأقطار العربية ، وأن كثيرا من صناعاتنا مستوردة أو تقوم الخبرة الأجنبية بتصميمها وتأسيسها وصيانتها ، وأننا نعانى من عجز تجارى ، يظهر بوضوح وبنسب متفاوتة فى ميزان المدفوعات ، والأرقام الفلكية المزعجة للقروض والديون الأجنبية التى يرزح تحت عبئها معظم الدول العربية غير البترولية . يضاف إلى ذلك كله ما تتسم به إنتاجية العامل فى شتى مجالات الإنتاج الزراعى والصناعى والتجارى والخدمى ، من انخفاض مستوى الأداء بصورة واضحة . ويزيد تلك الصورة قتامة ما يعانى منه المجتمع العربى بصفة عامة من جميع أشكال البطالة المقنعة والظاهرة (١) .

وإذا كانت معظم الدراسات والبحوث التربوية والاقتصادية تتبنى أسلوب ضرورة الأخذ عن الغرب فى تربيتنا المهنية والتكنولوجية ، كوسيلة وحيدة للخروج من هذا المأزق التربوى والاقتصادى ، فإن الدراسة الحالية تتبنى وجهة نظر مغايرة ، وهى ضرورة الأخذ بأروع ما فى تراثنا التربوى الإسلامى من اتجاه حرفى ومهنى ، يستمد أصوله وروافضه من القرآن والسنة ، وأن هذا المنطلق الإسلامى سوف يوفر لتلك الأمة الدافع القوى للانطلاق الحضارى ، كما أنه فى نفس الوقت سوف يعصم هذا الانطلاق من كل انحراف وعبودية للحياة الدنيا على حساب الاستقامة والطهارة والقرب من الله.

والباحث فى تلك الدراسة وهو يؤكد على ضرورة العودة إلى استلهام تراثنا التربوى الإسلامى فى استنبات مهننا وحرفنا وتكنولوجيتنا ، لا يغفل إطلاقا ضرورة الأخذ من حضارة العصر وتكنولوجيته « فالحكمة ضالة المؤمن أين وجدها فهو أحق

(١) عبد الرحمن النقيب : « مدخل لدراسة الاتجاه الحرفى والمهنى فى التربية الإسلامية » فى بحوث التربية الإسلامية ، دار الفكر العربى ، القاهرة ١٩٨٧ ، ج ٣ ، ص ١٣٢ .

بها » ،ولكنه يحذر من السير نحو التحضر بساق واحدة : الاعتماد على ساق السلف ، أو الاعتماد على ساق العصر، والأصوب أن نسير نحو تحضرنا الإسلامى بالساقين معا ؛ الأولى تضرب فى أعظم مواريثنا الحضارية ، والثانية مرتكزة على أعظم ما وصل إليه العصر من علوم وتكنولوجيا ، كل ذلك فى ضوء تعاليم الإسلام من قرآن وسنة .

ولكى يبرز الباحث هذا المعنى ويؤكده فقد تناول فى رسالته :« مكانة الحرف والمهن فى الإسلام » وكيف حث الإسلام ـ قرآنا وسنة ـ على العمل بجميع أنواعه الزراعية والصناعية والتجارية والخدمية ، وكيف مارس الرسول ﷺ والخلفاء الراشدون والصحابة رضوان الله عليهم شتى أنواع الحرف والمهن فى عصورهم . ثم عقد فصلين متتالين عن الأصول النظرية والاجتماعية للتربية المهنية والحرفية فى الإسلام ، ناقش فيهما الدوافع المختلفة التى تدفع المسلم إلى العمل ، والنظرة الإسلامية للعمل وللعمران ، وأبرز اختلاف العمران الإسلامى عن العمران الغربى الحديث المقترن بالظلم وتلويث البيئة والإسراف ، ثم تناول بعض الحرف والمهن التى نهى عنها الإسلام تأكيدا على خصوصية العمران الإسلامى وقيامه على الطيبات واجتناب الخبائث .

وحتى يعطى القارئ صورة عن تعدد الحرف والمهن عند المسلمين ، فقد عرَّض لبعض التصنيفات المختلفة للحرف والمهن عند علماء المسلمين ؛مثل الغزالى ـ الشيرازى ـ ابن الأخوة ـ ابن بسام ـ ابن خلدون ـ الكتانى ، وغيرهم ، وهى تصانيف توضح كيف تعددت تلك الحرف والمهن ، وكيف أمدت المجتمع الإسلامى بكل ما يحتاجه من أنواع الطيبات ، بحيث أغنته عن سواه من المجتمعات ، بل كان مجتمعا منتجا أكثر منه مستهلكا ، وموردا أكثر منه مستوردا ، وظل كذلك طوال عصور الازدهار الإسلامى .

ولكى يرد تلك الحركة المزدهرة فى مجال الحرف والمهن إلى أصولها الإسلامية الثابتة ـ القرآن والسنة ـ فقد عقد فصلين للحديث عن المهن والحرف فى القرآن والسنة ، خص كلا منهما بفصل تناول فيه كل ما ورد من أحاديث وآيات تتعلق بشتى أنواع الحرف والمهن ، لفتا لأهمية تلك الحرف والمهن ، وحثا على الأخذ بها . ولقد كانت تلك النصوص دافعا قويا دفع المسلمين فى شتى عصور الازدهار الإسلامى إلى مزيد من التفوق والإبداع والعطاء فى شتى المجالات الحرفية والمهنية .

وحتى يبرز الفارق الهائل بين العمران الإسلامى والحضارة الإسلامية وغيرها من مظاهر العمران والتحضر ، فقد ركز على الجانب الأخلاقى في العمران الإسلامى ، ولذا عقد الفصل الأخير من الرسالة لمناقشة أخلاقيات الحرف والمهن فى الإسلام ، وأثر

تلك الأخلاقيات على ممارسة تلك المهن والحرف .

والرسالة بذلك كله ، وبما تميزت به من الاعتماد على المراجع الأصلية ، تلبى حاجة قوية من حاجات المجتمعات الإسلامية إلى ضرورة الاستفادة من تراثنا التربوى الإسلامى فى تشييد صرح حضارتنا الإسلامية المعاصرة . وكان الباحث بتلك الرسالة ينضم إلى قافلة الدعاة إلى عودة الأمة إلى جذورها الحضارية فى شتى المجالات .

فأمام واقعنا الحرفى والمهنى المتردى ، فإن صاحب تلك الرسالة الحالية يرى ضرورة استنفار روح العمل الإسلامية وما تمثله من إعلاء لقيمة العمل وإتقانه ، مع ضرورة الأخذ بأخلاقيات المهن والحرف فى الإسلام ، والعودة إلى الحكم الشرعى الذى يلزم المجتمع بالاكتفاء الذاتى ـ ما استطاع إلى ذلك سبيلا ـ فى شتى الحرف والصناعات ، كفرض كفاية يأثم المجتمع كله بالتفريط فى القيام به ، راضيا بالتبعية الاقتصادية فى زراعته وصناعته وتجارته . وهذه الروح الإسلامية القوية تسرى فى معظم صفحات الرسالة ، وهو ما أسعدنى خلال فترة إشرافى على تلك الرسالة ، حتى تمت إجازتها بحمد الله من كلية التربية جامعة المنصورة .والرسالة بذلك كله تستحق القراءة المتأنية وتبشر بأعمال علمية أكثر عمقا ونضجا للباحث فى المستقبل القريب بإذن الله ، والله وحده هو الموفق .

المدينة المنورة فى ١ / ٢ / ١٤٢٠ هـ

د . عبد الرحمن عبد الرحمن النقيب

أستاذ أصول التربية الإسلامية بكلية التربية

جامعة المنصورة

والمعار حاليا إلى كلية التربية

جامعة الملك عبد العزيز بالمدينة المنورة